سلسلة الأنوار الخمسة



الأعلمي الصغير

يوم المباهلة



اسم القصة: يوم المباهلة

سلسلة: الأنوار الخمسة

فكرة وإعداد: ضياء الأعلمي

مراجعة وتصحيح: نضال علي

رسوم : أحمد تيراني

إخراج وتنفيذ: نيو مون ري

الناشر : مؤسسة الأعلمي

الطبعة الأولى

١٤٢٥ هـ ـ ٢٠٠٤م





مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - طريق المطار - قرب سنتر زعرور
هاتف: ٠١/٤٥٠٤٢٦ فاكس ٠١/٤٥٠٤٢٧

PUBLISHED BY AALAMI. Est
Bierut Air Port St.
Tel/Fax: 01 450427 P.O.Box:7120

E-mail:alaalami@yahoo.com


بسم الله الرحمن الرحيم
فقل تعالوا ندع
أبناءنا وأبناءكم
ونساءنا ونساءكم
وأنفسنا وأنفسكم
ثم نبتهل
فنجعل لعنة الله على
الكاذبين
صدق الله العلي العظيم
المباهلة: الملاعنة. يقال: تباهل شخصان إذا دعا كل
منهما على الآخر بالطرد من رحمة الله



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ، تَعالَوْا إِلى كَلِمَةٍ سَواءٍ (١) بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ، أَلاّ نَعْبُدَ إِلاّ اللّهَ، وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً، وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً (٢) مِنْ دونِ اللّهِ ﴾

(سورة آل عمران - ٦٤)

(١) كلمة سواء :كلمة عدل.
(٢) ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً ،يعني ولا يتخذ بعضنا عيسى (ع) رباً .

هَـذَا مُـحْـتَـوَى الـرِّسَالَـةِ الَّـتِي بَـعَـثَ بِـهَا رَسُـولُ الإِسْـلامِ الأَكْرَمُ (ص) إِلَى نَصَارَى نَجْرَانَ [١] عِنْدَمَا وَصَلَتْ رِسَالَةُ رَسُولِ اللّهِ (ص) إِلَى أَهْلِ نَجْرَانَ اجْتَمَعَ أَكابِرُ الْقَوْمِ وَشُيُوخُهُمْ في كَنِيسَتِهِمْ حَتَّى يَتَشاوَرُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ حَوْلَ هَذَا الْمَوْضوعِ. فَكَّرَ كَثِيرٌ مِنْ كِبارِ الْقَوْمِ وَرُؤَسائِهِمْ، بِأَنَّ دُخولَهُمْ دِينَ الإِسْلامِ سَيُلْحِقُ عاراً كَبِيراً بِهِمْ كَذَلِكَ فَإِنَّ الإِسْلامَ دِينُ أَهْلِ الْحِجَازِ،

وَلا يُمْكِنُ لأَهْلِ (نَجْرانَ) أَنْ يَتَقَبَّلُوهُ

وَهَذا هُوَ السَّبَبُ الَّذِي دَفَعَهُمْ إِلَى أَنْ يُهَيِّئوا أَنْفُسَهُمْ لِلْقِتالِ، لَكِنَّ الأُسْقُفَ الْكَبِيرَ الَّذِي كانَ طَاعِناً فِي السِّنِّ قالَ لَهُمْ [٢]:

«يَا قَوْمُ، إِنَّ الْعَجَلَةَ فِي مِثْلِ هَذِهِ الأُمُورِ لَيْسَتْ حَسَنَةً، حَاوِلُوا أَنْ لا تُخْطِئوا في تَقْدِيرِكُمْ إِنَّنِي أَرَى الشَّجَاعَةَ فِي بَعْضِ الأَحْيانِ تَكُونُ في قُبُولِ الصُّلْحِ وَرَفْضِ الْحَرْبِ، إِنَّ مُعَادَاةَ الإِسْلامِ لَيْسَتْ مِنْ صَالِحِكُمْ فَكِّرُوا قَلِيلاً وَلا تَسْلُكُوا طَرِيقَ الدَّمِ وَالسَّيْفِ»، عِنْدَ ذَلِكَ صَاحَ كَبِيرُ الْقَوْمِ بِصَوْتٍ عالٍ قائِلاً:

«يَا أَيُّهَا الشَّيْخُ الْهَرِمُ دَعْنَا مِنْ هَذَا الْكَلامِ

---

(١) نجران بلدة للنصارى تقع شرق مكة وعلى مقربة منها .

(٢) كان يلي أمور النصارى في نجران ثلاثة أشخاص هم : (السيد) وهوكبيرهم وإمامهم واسمه الأيهم . (العاقب) أميرهم وصاحب رأيهم ومشورتهم واسمه عبد المسيح . (الفارقليط) أبو حارثة بن علقمة ،وهو الأسقف الكبير والحبر الأعظم .

أَتُرِيدُنَا أَنْ نَخَافَ مِنْ حَرْبِ مُحَمَّدٍ؟

أَتَرْضَى لَنا أَنْ نُصْبِحَ أَذِلاَّءَ وَعاجِزِينَ وَنَقْبَلَ الاِسْتِسْلامَ لِلْعَارِ؟

يَا أَبَا حَارِثَةَ هَذا الْيَوْمُ لَيْسَ يَوْمَ صُلْحٍ وَتَسْلِيمٍ اتْرُكْنَا نَذْهَبُ إِلَى الْحَرْبِ وَنَذُوقُ طَعْمَ السَّيْفِ».

وَاسْتَعَدَّتْ كُلُّ قَبَائِلِ نَجْرَانِ وَرَاحَتْ تُهَيِّئُ نَفْسَهَا لِلْحَرْبِ، عَدَا شَابٌّ عَاقِلٍ خَوَّفَهُمْ مِنْ حَرْبِ رَسُولِ الإِسْلامِ، وَكَانَ قَدْ قَرَأَ التَّوراةَ وَالإِنْجِيلَ وَيَعْلَمُ أَنَّ رَسُولَ الإِسْلامِ، هُوَ الشَّخْصُ نَفْسُهُ الَّذِي أَخْبَرَتْ عَنْهُ التَّوراةُ وَالإِنْجِيلُ.



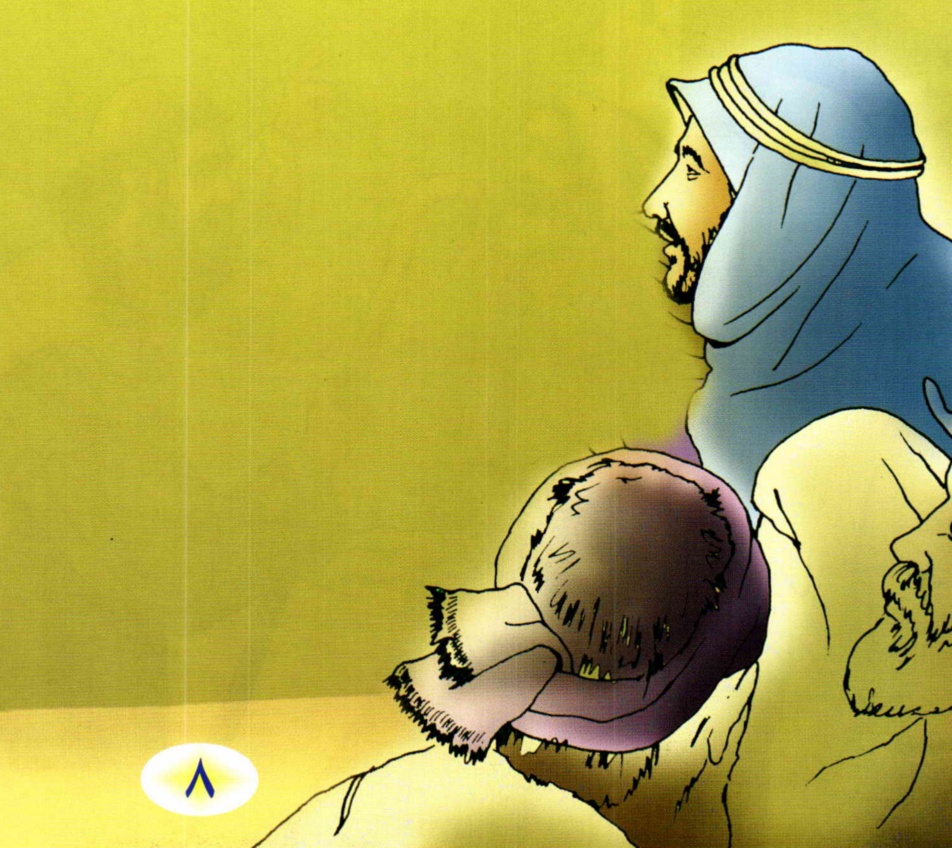
تَوجَّهَ الشَّابُّ الْمُؤْمِنُ إِلَى النَّاسِ وَقَالَ:

«أَيُّهَا النَّاسُ، أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ اللّهَ سَوْفَ يَبْعَثُ نَبِيّاً مِنْ أَوْلادِ إِسْمَاعِيلَ (ع)، وَتَعْلَمُونَ أَنَّ عِيسَى الْمَسِيحَ (ع) أَخْبَرَ عَنْ مَجِيءِ نَبِيٍّ لِلّهِ»

يَا قَوْمُ، إِذَا كَانَ عِيسَى سَيِّدَنَا وَرَئِيسَنَا، فَلِمَاذَا لا نَقْبَلُ قَوْلَهُ؟

أَوَمَا يَكْفِيكُمْ أَنَّ اسْمَ رَسُولِ اللّهِ، مَوْجُودٌ فِي كِتَابِنَا الْمُقَدَّسِ؟!

وَبِنَاءً عَلَى هَذَا لا تُعْرِضُوا عَنْ قَوْلِ رَسُولِ اللّهِ وَإِنَّنِي أُخَوِّفُكُمْ مِنَ الْحَرْبِ



مَعْ رَسُولِ الإِسْلامِ».

كَانَ أَثَرُ كَلامِ الشّابِّ الْمُؤْمِنِ عَمِيقاً في نُفُوسِ كِبَارِ الْقَوْمِ لا سِيَّمَا عَلى الأُسْقُفِ الْكَبيرِ وَالسَّيِّدِ وَالعَاقِبِ، فَقَدْ غَضِبُوا مِنْ كَلامِ الشَّابِّ الْمُؤْمِنِ بِشِدَّةٍ! قَالَ الأُسْقُفُ الْكَبِيرُ:

«يَا جَهِيرُ! إِنَّ مَا قُلْتَهُ فِي هَذَا الْمَجْلِسِ وَبَيْنَ هؤُلاءِ النَّاسِ يَجِبُ أَنْ لا تَذْكُرَهُ، وَهَلْ كُلُّ شَيْءٍ مَوْجُودٍ في الكِتَابِ الْمُقَدَّسِ يَلْزَمُ ذِكْرُهُ بَيْنَ النَّاسِ؟!».

وَقَالَ الرِّجَالُ الْمُسِنُّونَ: «إِذَا كَانَ مُحَمَّدٌ نَبِيّاً حَقّاً فَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ النَّبِيُّ الْمُخْبَرُ عَنْهُ مِنْ أَوْلادِ إِسْمَاعِيلَ، لِذا يَجِبُ عَلَيْنَا، نَحْنُ رِجَالُ نَجْرَانَ، أَنْ نَثْبُتَ عَلَى دِينِهِ!» لَقَدْ كَانَ مَوْجُوداً فِي كِتَابِهِمُ الْمُقَدَّسِ، اسْمُ وَعَلامَةُ رَسُولِ الإِسْلامِ وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ سَبِيلٌ غَيْرُ الاِعْتِرافِ بِالإِسْلامِ.

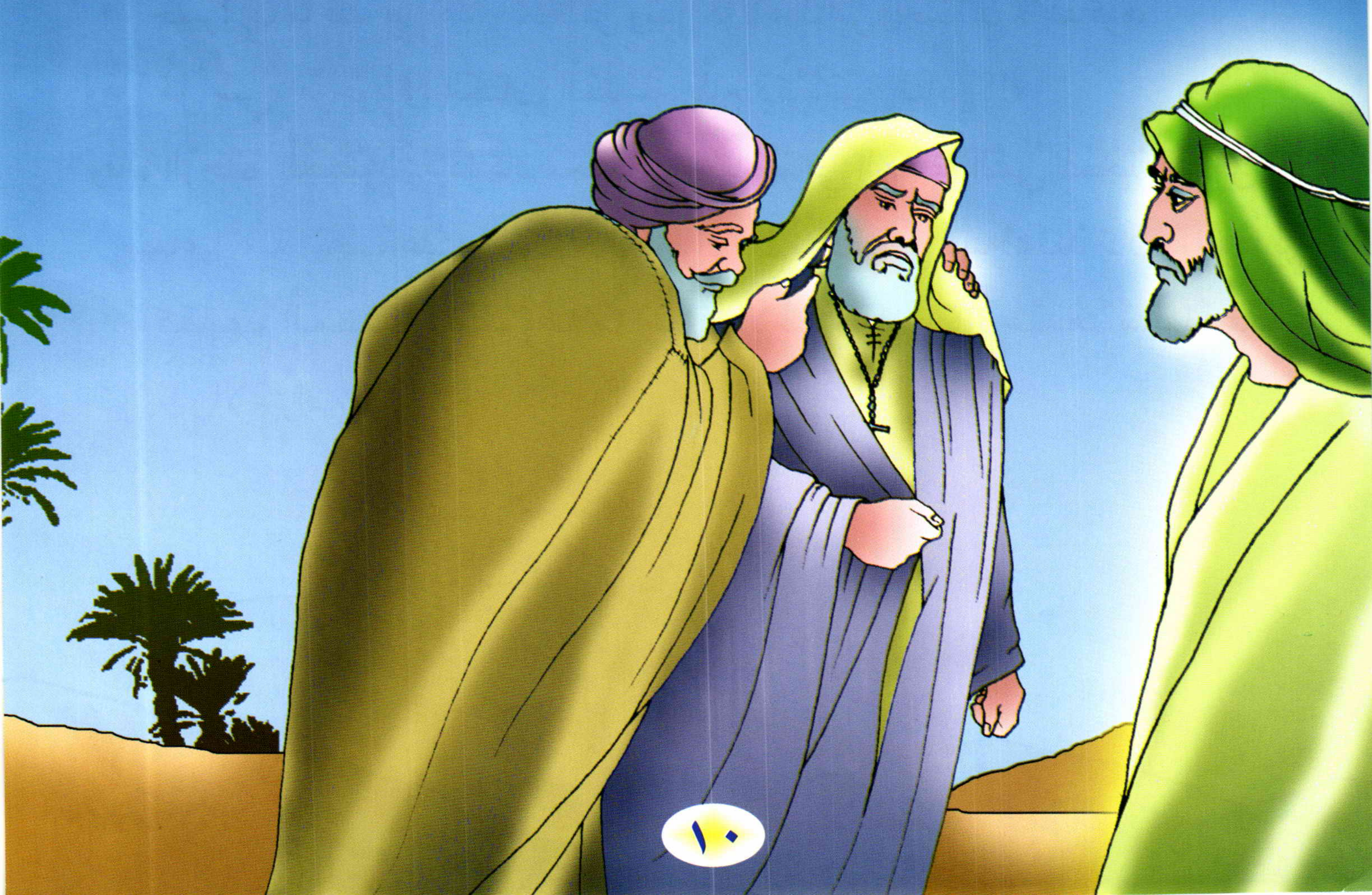
لَكِنَّ أَكَابِرَ الْقَوْمِ قَالُوا:

«اتْرُكوا جَمَاعَةً مِنَّا تَمْضِي إِلَى (الْمَدِينَةِ)

وَهُنَاكَ عَنْ قُرْبٍ تَتَحَاوَرُ مَعْ رَسُولِ الإِسْلامِ

فَإِذَا كَانَ مَا يَقُولُهُ حَقّاً آمَنَّا بِهِ وَإِذَا كانَ غَيْرَ ذَلِكَ حَارَبْنَاهُ».

اسْتَعَدَّتْ جَمَاعَةٌ مِنْ أَكَابِرِ وَعُلَمَاءِ نَجْرَانَ لِلذَّهَابِ إِلَى الْمَدِينَةِ وَاتَّخَذَتْ قَافِلَةُ نَجْرَانَ



الْكُبْرَى طَرِيقَهَا إِلَى هُنَاكَ، وَأَخِيراً وَصَلَ رِجَالُ
الْقَافِلَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ وَهُنَاكَ سَارُوا
بِتَمَهُّلٍ وَهُدُوءٍ حَتَّى وَصَلُوا إِلَى مَسْجِدِ النَّبِيِّ (ص)، وَاتَّخَذُوا مَنْزِلاً فِي مَكَانٍ
كَانَ قَدْ أَعَدَّهُ لَهُمْ أَهْلُ الْمَدِينَةِ الَّذِينَ لَمْ يَكُونُوا شَاهَدُوا مِثْلَ جَمَالِ وَتَرْتِيبِ قَافِلَةِ
نَجْرَانَ، وَهُنَاكَ فِي الْمَدِينَةِ مَرْكَزِ الإِسْلامِ، وَفِي جِوَارِ نَبِيِّ اللّهِ (ص) أَقَامَ وَفْدُ نَجْرَانَ صَلاتَهُمْ
وَعِبَادَتَهُمُ الْمَخْصُوصَةَ بِحُرِّيَّةٍ، لَفَتَتْ نَظَرَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَلابِسُهُمُ الطَّوِيلَةُ وَصَلاتُهُمُ الْخَاشِعَةُ،
وَأَخِيراً حَانَ يَوْمُ الْبَحْثِ وَالْمُنَاقَشَةِ، وَأَجْرُوا مَعَ النَّبِيِّ (ص) الْمُحَاوَرَةَ

قَالُوا: «يَا مُحَمَّدُ إِنَّ سَبِيلَكَ حَسَنٌ وَمَبْدَأَكَ جَيِّدٌ جِدّاً، وَكُلُّ ما قِيلَ عَنْ آخِرِ رَسُولٍ فَهُوَ
فِيكَ مَوْجُودٌ،

إِلاَّ أَنَّ رَسُولَ اللّهِ، يَجِبُ أَنْ يُؤْمِنَ بِعِيسَى رُوحِ اللّهِ وَيُؤْمِنَ أَنَّهُ صَادِقٌ وَأَنْتَ
لَسْتَ كَذَلِكَ، وَلا تُؤْمِنُ بِعِيسَى الْمَسِيحِ!»

قَالَ نَبِيُّ اللّهِ (ص): «لَيْسَ الأَمْرُ كَمَا

ذَكَرْتُمْ أَبَداً، فَأَنَا أُؤْمِنُ بِعِيسَى (ع) وَأَعْتَقِدُ أَنَّهُ صَادِقٌ وَأَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللّهِ، وَأَنَّهُ مُرْسَلٌ عَلَى الْحَقِّ مِنْ عِنْدِ اللّهِ وَأَعْتَقِدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللّهِ، مِثْلُ عِبَادِ اللّهِ الآخَرِينَ».

قَالُوا: «يَا مُحَمَّدُ أَنْصِفِ الْقَوْلَ هَلْ يَسْتَطِيعُ عَبْدٌ مِنْ عِبَادِ اللّهِ أَنْ يُجْرِيَ تِلْكَ الأَعْمَالَ الَّتِي عَمِلَهَا عِيسَى الْمَسِيحُ(ع)!

أَلَمْ يُحْيِ عِيسَى الْمَسِيحُ الأَمْوَاتَ؟

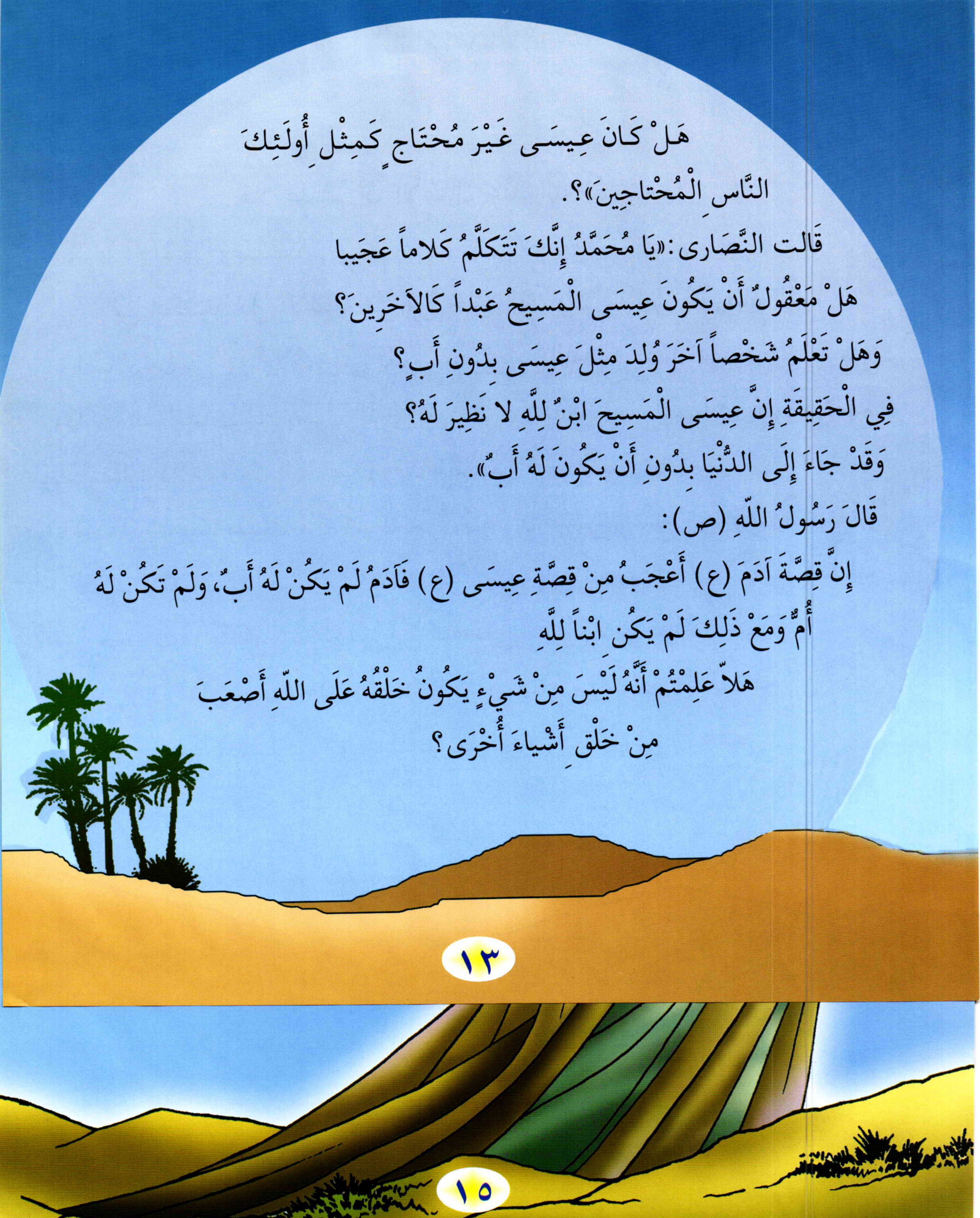
أَلَمْ يَشْفِ الْعُمْيَانَ؟

أَلَمْ يُخْبِرِ النَّاسَ بِمَا يُخَبِّئُونَ فِي بُيُوتِهِمْ؟

هَلْ يُمْكِنُ لأَحَدٍ أَنْ يَقُومَ بِمِثْلِ هذِهِ الأَعْمَالِ، غَيْرُ ابْنِ اللّهِ؟»

قَالَ رَسُولُ اللّهِ (ص): إِنَّ مَا قُلْتُمُوهُ صَحِيحٌ فَعِيسَى الْمَسِيحُ أَحْيَى الْمَوتى وَأَبْرَأَ الأَعْمَى... وَلَكِنَّهُ لَمْ يُنْجِزْ هذِهِ الأَعْمَالَ إِلاّ بِإِجَازَةٍ مِنَ اللّهِ!

إِنَّهُ عَبْدُ اللّهِ، وَعُبُودِيَّةُ عِيسَى لِلّهِ لَيْسَتْ عَاراً لَهُ، وَهُوَ لَمْ يَأْبَ هذِهِ الْعُبُودِيَّةَ لِلّهِ أَلَمْ يَكُنِ الْمَسِيحُ وَأُمُّهُ (ع) مِثْلَ الآخَرِينَ يَأْكُلانِ، وَمِثْلَ الآخَرِينَ يَجُوعَانِ، وَلَهُمَا لَحْمٌ وَجِلْدٌ وَعَظْمٌ؟!



هَلْ كَانَ عِيسَى غَيْرَ مُحْتَاجٍ كَمِثْلِ أُولَئِكَ النَّاسِ الْمُحْتَاجِينَ»؟.

قَالت النَّصَارى: «يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ تَتَكَلَّمُ كَلاماً عَجَيبا

هَلْ مَعْقُولٌ أَنْ يَكُونَ عِيسَى الْمَسِيحُ عَبْداً كَالآخَرِينَ؟

وَهَلْ تَعْلَمُ شَخْصاً آخَرَ وُلِدَ مِثْلَ عِيسَى بِدُونِ أَبٍ؟

فِي الْحَقِيقَةِ إِنَّ عِيسَى الْمَسِيحَ ابْنٌ لِلَّهِ لا نَظِيرَ لَهُ؟

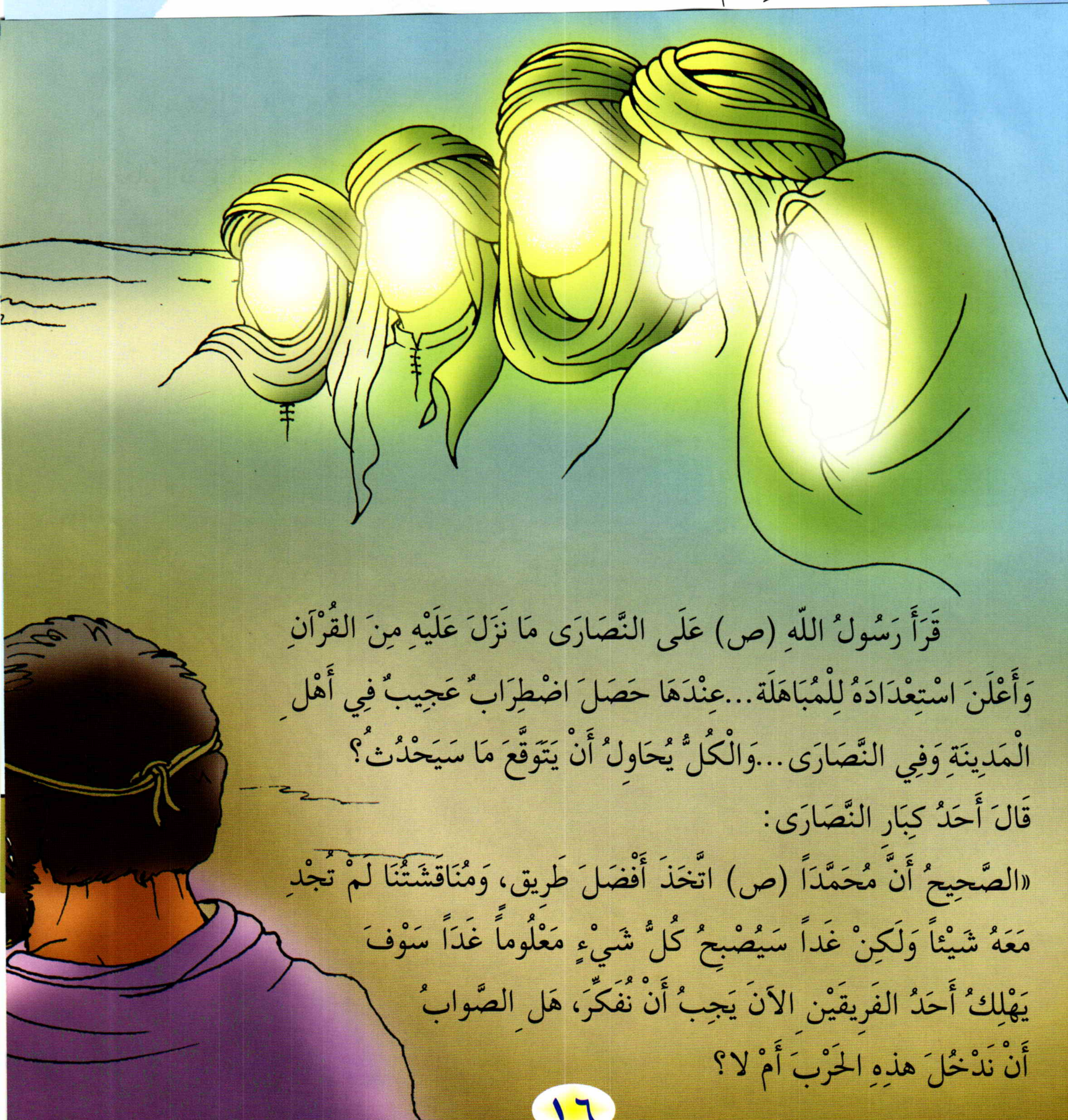
وَقَدْ جَاءَ إِلَى الدُّنْيَا بِدُونِ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَبٌ».

قَالَ رَسُولُ اللّهِ (ص):

إِنَّ قِصَّةَ آدَمَ (ع) أَعْجَبُ مِنْ قِصَّةِ عِيسَى (ع) فَآدَمُ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَبٌ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ أُمٌّ وَمَعْ ذَلِكَ لَمْ يَكُن ابْناً لِلَّهِ

هَلاّ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ يَكُونُ خَلْقُهُ عَلَى اللّهِ أَصْعَبَ مِنْ خَلْقِ أَشْياءَ أُخْرَى؟

هَلاّ عَلِمْتُمْ أَنَّ الأَعْمَالَ عِنْدَ اللّهِ لَيْسَ فِيهَا



قَرَأَ رَسُولُ اللّهِ (ص) عَلَى النَّصَارَى مَا نَزَلَ عَلَيْهِ مِنَ القُرْآنِ وَأَعْلَنَ اسْتِعْدَادَهُ لِلْمُبَاهَلَة... عِنْدَهَا حَصَلَ اضْطِرَابٌ عَجِيبٌ فِي أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَفِي النَّصَارَى... وَالْكُلُّ يُحَاوِلُ أَنْ يَتَوَقَّعَ مَا سَيَحْدُثُ؟

قَالَ أَحَدُ كِبَارِ النَّصَارَى:

«الصَّحِيحُ أَنَّ مُحَمَّداً (ص) اتَّخَذَ أَفْضَلَ طَرِيق، وَمُنَاقَشَتُنَا لَمْ تُجْدِ مَعَهُ شَيْئاً وَلَكِنْ غَداً سَيُصْبِحُ كُلُّ شَيْءٍ مَعْلُوماً غَداً سَوْفَ يَهْلِكُ أَحَدُ الفَرِيقَيْنِ الآنَ يَجِبُ أَنْ نُفَكِّرَ، هَلِ الصَّوابُ أَنْ نَدْخُلَ هذِهِ الحَرْبَ أَمْ لا؟



عَلى أَيِّ حَالٍ، يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نُفكِّرَ سَرِيعاً فَالصِّرَاعُ غَداً سَيَكُونُ صِرَاعاً عَجِيباً».

وانْصَبَّ النَّصارَى كُلُّهُمْ عَلَى التَّفْكِيرِ، ماذا يَجِبُ عَمَلُهُ؟

قَالَ الأُسْقُفُ الْكَبِيرُ:

«لا تَتَسَرَّعُوا في هَذا الأَمْرِ غَداً يُمْكِنُ أَنْ يُعْرَفَ مِنْ وَجْهِ مُحَمَّدٍ فِيمَا إذا كَانَ رَسُولاً أَوْ رَجُلاً دُنْيَوِيّاً. إِذَا وَجَدْنَاهُ رَجُلَ دُنْيَا، فَسَوْفَ نُبَاهِلُهُ حَتْماً وَلَنْ يَحْصُلَ شَيْءٌ. وَلَكِنْ إِذا كَانَ رَسُولاً مِنْ عِنْدِ اللّهِ، فَمَا الَّذي يُمْكِنُ فِعْلُهُ؟».

وَجاءَ مَوْعِدُ الْيَوْمِ الْكَبِيرِ وَذَهَبَ النّاسُ إِلَى خَارِجِ الْمَدِينَةِ لِيُذِيعُوا قِصَّةَ الْمُبَاهَلَةِ. كَانَتِ القِصَّةُ عَظِيمَةً وَمُهِمَّةً جِدّاً!

الْيَوْمَ تَأْخُذُ النَّصْرَانِيَّةُ قَرارَهَا تِجَاهَ الإِسْلام

وَلَقَدْ شَاءَ النَّاسُ أَنْ يَعْلَمُوا، مَا سَتَكُونُ نِهَايَةُ الأَمْرِ

وَمِنْ أَجْلِ رَسُولِ اللّهِ (ص) تمَّ إِعْدادُ مَكَانٍ تَحْتَ شَجَرَتَيْنِ مِنَ السِّدْرِ، وَاجْتَمَعَتْ هُنَاكَ جَمَاعَةٌ مِنَ النّاسِ لا تُعَدُّ وَلا تُحْصَى !

مَضَتْ لَحَظَاتٌ مِنَ الانْتِظَارِ وَظَهَرَ مِنْ بَعِيدٍ عِدَّةُ أَشْخَاصٍ، كَانَ يَتَوَسَّطُهُمْ رَسُولُ اللّهِ (ص) وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ (ع) أَمَامَهُ وَفَاطِمَةُ بِنْتُ النَّبِيِّ (ص) وَرَاءَهُ، وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ (ع) عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ! أَقْبَلُوا يَمْشُونَ الْهُوَيْنَا بِوَقَارٍ وَسَكِينَةٍ وَجَلَسُوا تَحْتَ شَجَرَتَي السِّدْرِ.



أَرْسَلَ النَّبِيُّ (ص) شَخْصاً إِلَى جِهَةِ النَّصَارَى كَيْ يَأْتُوا لِلْمُبَاهَلَةِ، حِينَئِذٍ، الْتَفَتَ (ص) إِلَى عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ (ع).

وَقَالَ: «إِذَا أَنَا دَعَوْتُ فَأَمِّنُوا عَلَى دُعَائِي»

ثُمَّ رَفَعَ رَسُولُ اللّهِ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ وَرَفَعَ أَهْلُهُ أَيْدِيَهُمْ لِلدُّعَاءِ.

عِنْدَئِذٍ قَالَ الأُسْقُفُ الكَبِيرُ:

«يَا أَبْنَائِي وَيَا قَوْمِي اجْتَنِبُوا هَذَا الْخَطَرَ الْمُخِيفَ!

إِذَا نَحْنُ بَاهَلْنَا الْيَوْمَ هَذَا الرَّجُلَ، فَسَوْفَ نَهْلِكُ جَمِيعاً!

إِنِّي لأَرَى وُجُوهاً، لَوْ سَأَلَتِ اللّهَ تَعَالَى أَنْ يُزِيلَ جَبَلاً مِنْ مَكَانِهِ لأَزَالَهُ! عِنْدَهَا ارْتَعَدَتْ فَرَائِصُ النَّصَارَى مِنَ الْخَوْفِ وَبِدُونِ أَنْ يَتَكَلَّمُوا، رَاحُوا يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ وَكَانَ الكُلُّ سَاكِتاً وَاجِماً، وَالسُّكُوتُ الَّذِي كَانَ يُسَيْطِرُ عَلَى تِلْكَ الصَّحْرَاءِ، حَمَلَ عَلاَمَةَ مَوْتِهِمْ.

كَانَ فِي النَّصَارَى رَجُلٌ مِنْ عُلَمَائِهِمْ يُدْعَى (مُنْذِراً) ذَهَبَ إِلَى كَبِيرِ النَّصَارَى وَسَحَبَهُ جَانِباً وَقَالَ:

«أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّهُ مَا بَاهَلَ قَوْمٌ نَبِيّاً إِلاَّ هَلَكُوا؟! حَقّاً أَقُولُ لَكَ الآنَ، إِنَّنِي أَرَى أَنَّ لَوْنَ الْكَوْنِ قَدْ تَغَيَّرَ وَإِذَا حَرَّكَ مُحَمَّدٌ (ص) لِسَانَهُ بِالدُّعَاءِ، فَسَيَنْزِلُ عَلَيْنَا بَلاءٌ عَظِيمٌ!».



وَهَكَذَا أَمْسَى النَّصَارَى صَامِتِينَ لا يَقُولونَ شَيْئاً وَكُلٌّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَنْظُرُ إِلَى الآخَرِ، أَمَّا مُنْذِرٌ فَقَدِ انْسَحَبَ مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ النَّصَارَى إِلَ طَرَفٍ وَقَالَ:

«إِنَّنِي أَشْهَدُ بِأَنَّ هَذا الرَّجُلَ رَسُولُ اللّهِ وَأَعْتَرِفُ أَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللّهِ وَأَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ إِلَهٌ إِلاّ اللّهُ».

كَانَتْ كُلُّ لَحْظَةٍ تَمُرُّ وَكَأَنَّهَا سَنَةٌ،



فَالأَنْفَاسُ احْتَبَسَتْ فِي الصُّدُورِ وَاضْطَرَبَ النَّصَارَى، وَحَتَّى النَّاسُ الَّذِينَ جَاءُوا كَنَظَّارَةٍ، مَا عَدَا النَّبِيَّ وَأَهْلَهُ وَحْدَهُمْ ظَلُّوا هَادِئِينَ وَثَابِتِي الأَقْدَامِ، مُسْتَعِدِّينَ لِلْمُبَاهَلَةِ وَالْجَمِيعُ فِي

انْتِظَارِ جَوَابِ النَّصَارَى!

فِي النِّهَايَةِ أَخَذَ النَّصَارَى قَرَارَهُمْ وَجَاءَ (مُنْذِرٌ) مِنْ طَرَفِهِمْ إِلَى رَسُولِ اللّهِ (ص) وَقَالَ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، بِأَيِّ أَشْخَاصٍ تُرِيدُ أَنْ تُبَاهِلَنَا؟»

قَالَ الرَّسُولُ (ص):

«بِأَفْضَلِ خَلْقِ اللّهِ، (عَلِيٍّ) وَ(فَاطِمَةَ) و(الْحَسَنِ) وَ (الْحُسَيْنِ)».

قَالَ مُنْذِرٌ:

«مِنْ فَضْلِ اللّهِ أَنْ نَتَبَاهَلَ مَعَكَ! أَشْهَدُ أَنَّكَ مُرْسَلٌ مِنَ اللّهِ تَعَالَى وَبَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ بِأَفْضَلِ سَبِيلٍ، وَأُعْلِمُكَ أَنَّ أَصْحَابِي لَيْسُوا مُسْتَعِدِّينَ لِلْمُبَاهَلَةِ.».

قَبِلَ رَسُولُ اللّهِ (ص) اقْتِرَاحَ النَّصَارَى بِسُرْعَةٍ وَخَرَجَ مِنْ حَالَةِ الدَّهْشَةِ إِلَى الحَالَةِ العَادِيَّةِ.

فَرِحَ النّاسُ مِنْ هَذِهِ النِّهَايَةِ الَّتِي خُتِمَتْ بِسَلامٍ وَعَلا صَوْتُ التَّكْبِيرِ مِنْ كُلِّ حَدْبٍ وَصَوْبٍ، وَاسْتَسْلَمَ النَّصَارَى وَأَعْلَنُوا طَلَبَ الصُّلْحِ.

تَعَهَّدَ الإِمَامُ عَلِيٌّ (ع) وَمُنْذِرُ أَنْ يُرَتِّبَا الصُّلْحَ وَعَلَى هَذا الأَسَاسِ فَإِنَّ أَهْلَ نَجْرَانَ أَحْرَارٌ فِي اعْتِنَاقِ الإِسْلامِ أَوِ الْمَسِيحِيَّةِ، وَلَنْ تَكُونَ حَرْبٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَسَيَكُونُ النَّصَارَى فِي حِمَايَةِ حُكُومَةِ الإِسْلام، وَلَيْسَ لأَحَدٍ حَقُّ التَّجَاوُزِ عَلَيْهِمْ. فِي مُقَابِلِ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ أَنْ يُؤَدُّوا إِلَى حُكُومَةِ الإِسْلامِ كُلَّ عَامٍ أَلْفَ دِينَارٍ وَأَلْفَيْنِ مِنَ الْحُلَلِ.

كُتِبَ قَرَارُ الصُّلْحِ وَأَمْضَاهُ رَسُولُ اللّهِ (ص)، وَقَبِلَ النَّصَارَى تَأْدِيَةَ الْجِزْيَةِ لَكِنَّهُمْ لَمْ يَجْرُؤوا

عَلَى مُقَابَلَةِ النَّبِيِّ (ص)، وَجَاءَ الأُسْقُفُ الكَبِيرُ وَبَعْضُ أَصْحَابِهِ إِلَى رَسُولِ اللّهِ (ص) وَأَسْلَمُوا، قَالَ رَسُولُ اللّهِ (ص):

«لَوْ أَنَّكُم كُنْتُمْ بَاهَلْتُمُونِي وَأَهْلِي، لَكَانَ اللّهُ أَشْعَلَ بِكُمُ الصَّحْرَاءَ وَأَحْرَقَكُمْ جَمِيعاً!» سَكَتَ الأُسْقُفُ الكَبِيرُ كُلِّيّاً، وَلَمْ يَلْفِظْ حَرْفاً وَاحِداً.

أَدْرَكَ نَصَارَى نَجْرَانَ أَنَّ رَسُولَ الإِسْلامِ عَلَى حَقٍّ لِذَا دَخَلَ بَعْضُهُمْ فِي الإِسْلامِ. لَكِنَّ جَمَاعَةً أُخْرَى مِنْهُمْ بَقُوا عَلَى دِينِهِمْ، هؤُلاءِ لَمْ يُضَيِّقْ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللّهِ أَبَداً بَلْ أَرْجَعَهُمْ ثَانِيَةً إِلَى دِيَارِهِمْ مُعَزَّزِينَ مُكَرَّمِينَ...

تِلْكَ قِصَّةُ الْمُبَاهَلَةِ الَّتِي حَدَثَتْ فِي العَامِ العَاشِرِ الْهِجْرِيِّ وَسَتَظَلُّ قِصَّتُهَا الْمُثِيرَةُ الْمُدْهِشَةُ تَجُولُ فِي خَوَاطِرِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ! إِنَّها دَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَى حُسْنِ الْمُعَامَلَةِ لأَهْلِ الكِتَابِ مِنْ قِبَلِ الْمُسْلِمِينَ.

وَهِيَ أَيْضاً مِنْ أَعْظَمِ مَآثِرِ أَهْلِ البَيْتِ (ع) الَّتِي لا تُعَدُّ وَلا تُحْصَى.

فَمُبَاهَلَةُ النَّبِيِّ (ص) بِهؤُلاءِ الأَشْخَاصِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ دَلِيلٌ عَلَى عُلُوِّ مَكَانَتِهِمْ وَامْتِيَازِهِمْ عَنْ كُلِّ مَنْ سِوَاهُمْ! ثُمَّ قَوْلُهُ (ص) عَنْ عَلِيٍّ (ع) (وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ) دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ أَقَامَهُ مَقَامَ نَفْسِهِ، وَهِيَ دَرَجَةٌ لَمْ يَرْقَ إِلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرُهُ.

وَالْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ العَالَمِينَ